# العهد القديم

# *The Old Testament*

## التوراة *The Torah*

# فكرة عامة General Outlines

## من هو مؤلف العهد القديم أو التوراة ؟

إن الإنسان ليعجب ويتساءل كم من قراء التوراة سيقومون بإجابة هذا السؤال بتكرار ما كانوا قد طالعوه فى مقدمة كتابهم المقدس ؟ إنهم سيقولون إنه على الرغم من أنه قد كُتِبَ بواسطة رجال ملهمين من الروح القدس Holy Ghost فإن المؤلف هو[1] الله .

وفى بعض الأحيان يُلْزِمُ كاتب مقدمة الكتاب المقدس نفسه بأن يخبر قارئ الكتاب المقدس بهذا الرأى المقتضب الغامض الذى ينهى أى تساؤل آخر (مع أن من قاموا بكتابته بَشَرٌ إلا أن مؤلفه هو الله) . وفى أحيان أخرى يحذر كاتب مقدمة الكتاب المقدس القارئ من أن بعض التفاصيل ربما كانت قد أضافها البشر إلى النص الأصلى وأن هذه الإضافات المشكوك فى صحتها فى فقرة ما من الفقرات لا تحرف «الحقيقة العامة»[2] التى يهدف النص إلى إعطائها . إن هذه «الحقيقة العامة» يتم التأكيد عليها بإصرار شديد . إن السلطات الكنسية The Church Authorities تقدم دائما حل هذه المشكلة من حيث إنها هى الجهة الوحيدة The Only body التى تستطيع بمساعدة الروح القدس The Holy Ghost أن ترشد «المؤمن» فى مثل هذه الأمور . ومنذ «المجامع المسكونية» التى كانت تنعقد فى القرن الرابع الميلادى كانت «الكنيسة» هى التى أعلنت عن الأناجيل المعتمدة المعترف بها وإبطال ما سواها ، وتم تأييد هذا الإجراء فى المجمع المسكونى فى فلورنسا Florence سنة (١٤٤١) وفى ترنت Trentسنة (١٥٤٦) وفى مؤتمر الفاتيكان Vatican سنة (١٨٧٠) لكى يتشكل ويتكون ما يسمى بالنص القانونى للكتاب المقدس The Cannon وفى وقت حديث جدا وبعد كثير من المناقشات فى مقر البابوية بالفاتيكان ، تم نشر وثيقة مهمة جدا استغرق إعدادها ثلاثة أعوام (١٩٦٢ –١٩٦٥) لكى يتم إصدارها . ولقد أصبح الغالبية العظمى من قراء الكتاب المقدس الذين وجدوا فى هذه الوثيقة تأكيدا جازما مطمئنين إلى أنهم قد حصلوا على ضمانات guarantees تضمن مصداقية كتابهم المقدس بحيث لا تتطرق إليه شكوك .

وعندما نرجع إلى المؤلفات التى يكتبها رجال الدين المسيحى لا ليقرأها عامة الناس بل ليقرأها المتخصصون فى اللاهوت المسيحى يتأكد لنا أن مسألة مصداقية الأسفار والأناجيل فى الكتاب المقدس مسألة أكثر تعقيدا مما يعتقده الناس كحقيقة مسلم بها قبل الفحص والتدقيق . وعلى سبيل المثال ، عندما تدرس الطبعة الحديثة من الكتاب المقدس التى تم نشرها باللغة الفرنسية تحت إشراف

(١) هذا الرأى مقتضب وغامض كما لاحظ المؤلف فى الفقرة التالية ، وسبب الغموض فيه لدرجة لا تسمح بقبوله هو أن كُتّاب ومدبجى نصوص التوراة والأناجيل يبلغ عددهم عشرات من الرجال يقال إن عددهم أربعون رجلا هم كتاب أسفار التوراة وكتاب الأناجيل ، ولم يكونوا أنبياء يكتبون ما أوحاه الله إلى كل منهم ، ولم يكتبوا تحت إشراف وفى حياة النبى الذى ينسب إليه هذا الجزء أو ذاك من أسفار التوراة أو من الأناجيل ، بينما القرآن الكريم قد تمت كتابته كله فى حياة نبى الإسلام ﷺ وبإشرافه التام الكامل باعتبار أنه الكلام الذى أوحاه الله إليه قرآنا كريما . (المترجم) .

(٢) يشبه هذا الموقف العجيب موقف من يقول :«مع أن هذا خطأ إلا إنه صحيح.» ويظن الناس المتعطشون إلى «الإيمان» أن رجال الكهنوت«لديهم» ما يبرر مثل هذا القول من حيث اتصالهم بالله واشتغالهم بعلوم الدين . (المترجم)

معهد دراسات الكتاب المقدس بالقدس وقامت بطبعها ونشرها دار النشر سيرف فى باريس Cerf;Paris سنكتشف أن نبرة الثقة بمصداقية نصوص الكتاب المقدس ستختلف وتنحرف عن هذه الثقة بالمصداقية لنصوص الكتاب المقدس . ولسوف نتحقق أن نصوص العهد القديم ونصوص العهد الجديد تثير مشاكل فى مسائل مثيرة للجدل Controversial elements لم يستطع المفسرون إخفاءها .

ونجد فى طبعة الكتاب المقدس هذه أيضا دراسات أكثر إيجازا للحقائق ،وأكثر موضوعية ودقة فى الأحكام والنظريات والآراء مثل تلك الدراسة التى كتبها **«إدموند جاكوب** Edmond Jacob عن العهد القديم وتم طبعها بالمطابع الجامعية بفرنسا فى مجموعة : «ماذا تعرف؟» .

«Presses Universitaires de France. Collection Que Sais - Je?»

إذ أن هذا الكتاب يعطينا رؤية شاملة كاملة عن مشكلة مصداقية الكتاب المقدس .

إن كثيرا من الناس غير مدركين – وهذه حقيقة يشير إليها **إدموند جاكوب** – أنه كانت توجد أصول متعددة مختلفة للكتاب المقدس، ولم يوجد أصل واحد له بل وجدنا أصولا متعددة(١) .

وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرون وجدنا ثلاثة أصول عبرية Hebrew Texts أصول التوراة التى عُرِفَتْ باسم النص الماسورى The Masoretic Text الذى استخدم جزئيا على الأقل فى الترجمة اليونانية للتوراة . ولدينا أيضا النص السامرى للتوراة لأسفار موسى الخمسة -The Samaritan Pen tateuch وفى القرن الأولى الميلادى كان هناك اتجاه إلى تأسيس نص مُوَحَّد، ولكن لم يتم الوصول إلى ذلك النص الموحد The Single Text قبل انقضاء القرن الأول الميلادى .

ولو كان فى حوزتنا هذه الأصول الثلاثة لنصوص التوراة لأمكن عقد المقارنة بينها ، ولأمكن لنا الوصول إلى استخلاص أى هذه النصوص هى النصوص الأصلية للتوراة . ولسوء الحظ ليس فى حوزتنا شىء منها ،وليس فى إمكاننا المقارنة بينها لعدم وجودها واندثارها مما يجعل هذا الأمل مستحيلا ، ولم يبق لدينا أى فكرة عما هو الصحيح منها أو غير الصحيح . وباستثناء لفائف «البحر الميت» التى تم العثور عليها بوادى قمران التى يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد المسيح ، وبعض أوراق البردى التى تضم الوصايا العشر The Ten Cammandments التى تم العثور عليها ، وترجع إلى القرن الثانى للميلاد وهى على نحو مغاير للنص الشائع فى صياغتها ، وبعض المخطوطات التى أمكن العثور عليها بالجيزة فى مصر وترجع إلى القرن الخامس الميلادى نجد أن أقدم نص للتوراة العبرية يرجع إلى القرن التاسع بعد الميلاد .

---

(١) عندما تكون هنالك «أصول» للكتاب المقدس وليس «أصلا واحدا» يتضح أن المصداقية قد أصبحت فى مهب الريح . إن وجود «أصول وليس أصلا واحدا» يدل على وجود «الاختلاف» بين هذه الأصول . ولو لم يكن بينها اختلاف لكان لدينا «أصل واحد» وليس «أصولا كثيرة» . (المترجم) .

وتعتبر الترجمة السبعينية Septante للتوراة هى أول ترجمة للتوراة وهى مكتوبة باللغة اليونانية . ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وقام بكتابتها يهود الإسكندرية .

وعلى أساس من هذا النص للترجمة السبعينية اعتمد الكتاب المقدس . وظلت هى المصدر المعترف به للكتاب المقدس حتى القرن السابع الميلادى.

والنصوص المكتوبة باللغة اليونانية الشائعة الاستخدام فى العالم المسيحى بوجه عام مستمدة من مخطوطات تم تصنيفها تحت عنوان مخطوطات الفاتيكان Codex vaticanus ويقال إنها محفوظة فى الفاتيكان ، وكذلك «المخطوطات البريطانية Codex Sinaiticus» ويقال إنها محفوظة فى المتحف البريطانى ويرجع تاريخ كل منهما إلى القرن الرابع بعد الميلاد .

وفى بداية القرن الخامس الميلادى استطاع القديس **جيروم** Saint Jerome أن ينجز نصا باللغة اللاتينية بالاعتماد على أصول عبرية عرف فيما بعد باسم «**الڤولجاتا** The Volgate» بالنظر إلى مكان انتشارها وذيوعها فيما بعد القرن السابع الميلادى .

ولمجرد استكمال الحصر الدقيق سنذكر أيضا النصوص الآرامية Aramiac والسريانية Syriac المعروفة باسم البيشيتا Peschilta ولكنها نصوص غير كاملة .

وكل هذه النصوص قد جعلت فى استطاعة المختصين أن يؤلفوا ما أطلقوا عليه اسم «نصوص الحل الوسط Middle - of - The - road - texts» وهو نوع من التوفيق والتقريب بين النصوص المختلفة . وظهرت نسخ من طبعات الكتاب المقدس بحيث يوجد فى النسخة أكثر من لغة Multi - linual collections مثل العبرية واليونانية واللاتينية والسوريانية والآرامية حتى اللغة العربية ، وهذا هو الشأن فى طبعة والتون Walton Bible من الكتاب المقدس الذى ظهر بمدينة لندن عام (١٦٥٧) ، ولكى يتكامل عرضنا لاختلاف أصول الكتاب المقدس يتحتم علينا أن نقرر أن التصورات المختلفة لأصول الكتاب المقدس هى المسئولة وهى المتسببة فى حقيقة أن الكنائس المسيحية المختلفة لاتقبل كلها كل أسفار وأصحاحات الكتاب المقدس ، وليس لديها حتى الآن موقف متفق عليه لترجمة نصوص الكتاب المقدس حتى فى نطاق لغة واحدة؛ أى أنهم يختلفون اختلافا كثيرا عند ترجمة الكتاب المقدس فى إطار أى لغة يترجم إليها الكتاب المقدس ، وتوشك الترجمة المسكونية للعهد القديم أن تتم بتضافر جهود الخبراء المختصين الكاثوليك والبروتستانت فى محاولة للتأليف والتوفيق بين الأصول المختلفة للنصوص المقدسة فى التوراة .

وهكذا يتضح أنه حتى اليوم لايزال العنصر البشرى The human element يمارس تأثيره وفاعليته ويمكن ملاحظة وجوده وتأثيره فى صياغة الكلام الذى يتضمنه الكتاب المقدس حتى اليوم . وليس من الصعب علينا ، ولا من العسير أن ندرك لماذا تَغَيَّرت وتبدلت وتحوَّرت وحرِّفت كلمات النص الواحد ما بين أصل وأصل من الأصول الكثيرة للكتاب المقدس وما بين ترجمة وترجمة مع كل التصويبات Corrections التى لا يمكن تفاديها خلال مسار نصوص الكتاب المقدس على مدار ألفى سنة .

# أصول الكتاب المقدس
# *Origins of the Bible*

قبل أن يتبلور الكتاب المقدس فى مجموعة الأسفار التى نطالعها اليوم ، كان الكتاب المقدس تراثا شعبيا يعتمد أساسا فى تناقل الأجيال له على ترديد الناس له اعتماداً على الذاكرة كوسيلة[١] وحيدة لتناقل ما فيه من أفكار . إن هذه النصوص الموجودة فى التوراة كان الناس يتغنون بها .

وفى هذا الصدد يقول **إدموند جاكوب** : «إن كل شعب فى تطوره البدائى مجبول على ترديد الأغانى . وبالنسبة إلى الشعب الإسرائيلى كما هو الشأن لدى كل الشعوب البدائية سَبَقَ الشِّعْرُ النثر . ولقد غنّى الشعب الإسرائيلى كثيرا، وكان الشعب الإسرائيلى يُحْسِن ويجيد الغناء ، يحدُوه فى ذلك الظروف التاريخية التى مرّ بها والتى تنوعت بين ذروات النشوة بالانتصارات ومهاوى اليأس والحزن من جراء الهزائم والنكسات والنكبات . ولقد كانت عيون الشعب الإسرائيلى ترى فى كل موقف من هذه المواقف معنى ومغزى ودلالة مما أعطى لأغانى الشعب[٢] الإسرائيلى فى أغانيه التى كان ينشدها أبناؤه تعبيرات قوية وشديدة التنوع» .

لقد كان أبناء الشعب الإسرائيلى يُغَنُّونَ فى مختلف المناسبات . ويذكر إدموند جاكوب الكثير من هذه المناسبات التى نجد الأناشيد التى تواكبها فى التوراة : فهناك أغانٍ عند تناول الطعام ، وأغانٍ فى موسم الحصاد ، وأغانٍ عند القيام بأداء العمل وأغانٍ عند عقد الزيجات، كما فى سفر العدد (٢١-١٧) ، وكما هو الشأن فى نشيد الإنشاد ، وأغانٍ أثناء الحداد على الموتى . وفى التوراة نجد أغانىَ عديدةً فى الحروب من بينها نشيد «ديبوره» بسفر القضاة (٥:١-٣٢) لتمجيد انتصارات الإسرائيليين التى كان يتوق إليها ويقود الشعب الإسرائيلى فيها الإله «يهوا» بنفسه كما هو الشأن فى سفر العدد (١٠ :٣٥) حيث يقول نص التوراة بالحرف الواحد : «وعند ارتحال التابوت(تابوت عهد الرب) كان موس يقول[٣] : قم يارب . فليتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك . وعند حلوله كان يقول: ارجع يارب إلى ألُوف إسرائيل» .

وبالتوراة أيضا نجد الحِكَمَ والأمثال (سفر الأمثال ) ، ونجد أمثالَ وحِكَمَ الكتب التاريخية المقدسة

---

(١) أى ذاكرة هذه التى تستطيع أن تحفظ بدقة النصوص التى تتضمنها أسفار التوراة؟ يستحيل على أى إنسان فى عصرنا أن يحفظ عن ظهر قلب أسفار التوراة . وإذا كان هذا ممكنا بالنسبة إلى القرآن الكريم فهو مستحيل بالنسبة لكل أسفار التوراة حيث إن جمال النظم اللغوى فى القرآن الكريم يساعد على حفظه وهو ماتفتقر إليه أسفار التوراة . (المترجم) .

(٢) يريد البروفيسور إدموند جاكوب أن يقول : إن الشعب الإسرائيلى الذى كان يجيد الغناء استطاع من خلال الغناء أن يحافظ على سلامة أصول التوراة ، ويعوّل فى ذلك على سبق الشعر للنثر ، وكأنما التوراة من روائع الشعر ، وكأنما الشعب الإسرائيلى شعب موثوق به ولم يكن شعباً غليظ الرقبة كما وصفه سيدنا موسى وكما وصفه المسيح . إذا كان يستطيع أن يعوّل فى مصداقية الكتاب المقدس على الشعب الإسرائيلى بكون مسرفا فى التفاؤل .(المترجم) .

(٣) ليس سيدنا موسى هو الذى يتكلم ، وليس الله ، ولكنه شخص ثالث يستخدم أسلوب الكلام غير المباشر Indirect Speech ويجوز أن يصيب أو يخطئ فى نقل الكلام . (المترجم) .

ونجد كلمات للتعبير عن البركة واللعنة والقوانين التى شرعها الأنبياء للبشر بَعْدَ أنْ أوْكَلَهُمْ اللهُ لتسلمها .

ولاحظ إدموند جاكوب أن هذه الأقوال كانَ تَناقُلُها يتم بالانتقال من أسرة إلى أسرة[١] أو أنها أخَذَتْ مسارَها فى قنوات عَبْرَ المعابد على شَكْل قصص وحكايات تمجّد شعْبَ الله المختار . ولقد تحوَّل التاريخ بسرعة إلى حكايات شعبية كما هو الشأن فى حكاية «يوثام» فى (سفر القضاة ٩ : ٧-٢١) حيث تقول التوراة بالحرف الواحد : «ذات مرة ذهبت الأشجار لتَمْسَحَ عليها ملكاً فقالت للزيتونة : امْلكى عَلَيْنَا . فقالت لها الزيتونة : أأترك دهنى الذى به يُكْرَمُون بى الله والنَاس وأذهَبُ لكى أمْلكَ عَلَى الأشجار . ثم قالت الأشجار للتينة : تعالى أنت وامْلكى علينا . فقالت لها التينة : أأترك حلاوتى وثمرى الطيب وأذْهَبُ لكى أمْلكَ على الأشجار . فقالت الأشجار للكرمة : تعالى أنت وامْلكى علينا . فقالت لها الكرمة : أأترك مسْطارى الذى يُفْرِحُ الناسَ وأذهَبُ لكى أمْلكَ على الأشَجار . ثم قالت جميع الأشجار للعوسج : تعال أنت وامْلكْ علينا فقال العوسج للأشجار إن كنتم بالحق تمسحوننى عليكم مَلكاً فتعالوا واحتموا تحت ظِلّى . وإلا فتخرج نار من العوسج وتأكل أرْزَ لبنان» . إن وجود مثل هذا النص قد استدل منه إدموند جاكوب على صحة ما يلاحظه من أن الحاجة الماسة والضرورة الملحة كانت تدفع «الناس» إلى «خلق» «قصة حلوة» ، ولم تكن مثل هذه القصص ترتبط بموضوع معيَّن أو وقت معيَّن ، بل كان تاريخ مثل هذه الحكايات مجهولا . ومن هذا المنطلق ينطلق إدموند جاكوب لكى يقول : «يحْتمل أن ما يرويه العهد القديم عن موسى والآباء والأولين لا يتفق إلا بشكل تقريبى[٢] مع المجرى التاريخى للأحداث ، ولكن الرواة كانوا يعرفون خلال هذه المرحلة من النقل الشفهى غير المكتوب كيف يضفون الأناقة والجمال[٣] وروعة الخيال حتى يربطوا بين أحداث شديدة التنوع والتناقض ، وقد نجحوا فى تقديم هذه الأحداث التى يمكن قبولها إلى حَدٍّ ما[٤] من جانب الباحثين الناقدين Fair-ly credible to critical thinkers وهى الأحداث التى حَدَثَتْ عند بدء الحياة البشرية وبدء العالم.»

ويوجد سَبَب قَوىٌ للاعتقاد بأنه بعد أن كان الشعب الإسرائيلى قد استقر بأرض كنعان Ca-naan فى نهاية القرن الثالث عشر قبل ميلاد المسيح ، كانت الكتابة وتدوين الكلام تُسْتَخْدَمُ

(١) ندع للقارئ الكريم تقدير مدى احتمالية الحذف والإضافة والتغيير والتحوير عندما تكون مصادر النصوص المقدسة متعددة على هذا النحو وهذا هو السبب الحقيقى لمشكلة تعدد مصادر الكتاب المقدس . وهذا بالضبط هو ما يشير إليه القرآن الكريم من أن بعض بنى إسرائيل قد حرفوا الكلم عن مواضعه . (المترجم) .

(٢) هل هنالك شكوك أضخم من هذه الشكوك التى تحيط بمصادر نصوص الكتاب المقدس يثيرها أولئك الذين يحاولون إثبات مصداقيته بأنفسهم أمثال إدموند جاكوب فلا يجدون إلا الشكوك وراء الشكوك ؟ (المترجم) .

(٣) هل من الأناقة والجمال وروعة الخيال أن تتضارب المصادر التى تعتمد عليها نصوص التوراة وتختلف وبناقض بعها بعضها ؟ (المترجم) .

(٤) القبول بالمصداقية والاقتناع بها كلٌ لا يتجزأ . إما أن تكون المصداقية متوافرة تماما وإما ألا يكون ثمة مصداقية على الإطلاق ، ومن أوائل الآيات بأول سورة بعد الفاتحة وهى سورة البقرة . يقول الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم فى القرآن الكريم ما نصه بالحرف الواحد : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (المترجم) .

لحفظ ونَقْلِ التراث . ولم تكن هنالك بالطبع دقة تامة Camplete accuracy حتى بشأن ما يبدر أن الناس يحتاجون فيه إلى الدقة التامة من القوانين والشرائع ، ومن بينها القوانين والشرائع التى يقال: إنها قد كُتبَتْ بيَد الله نفسه by God's awn hand وهى الوصايا العشر The Ten Cammandments وهى الوصايا التى يقدمها لنا العهد القديم فى صياغتين : إحداهما : تُوردها التوراة فى سفر الخروج (٢٠ :١-٢١) والأخرى : تُوردها التوراة فى سفر التثنية (٥ :١-٣٠) وهما صيغتان متطابقتان من حيث الروح ، ولكن أوجه الاختلاف بينهما واضحة للعيان . ويوجد أيضا اهتمام بتدوين المعاهدات ، والمراسلات ، وقوائم الأنساب للشخصيات الشهيرة مثل القضاة وحكام المدن ، وقوائم أصناف القرابين التى يجب أن تقدم فى المعابد ، وقوائم تحدد غنائم الحروب والأسلاب التى تم الحصول عليها فى المعارك . وبهذه الطريقة تَمَّ عَمَلُ سجلاتٍ أمَدَّتْ عملية التوثيق لمرحلة التدوين التالية بوقائع محددة استقرت فى الأسفار المقدمة الموجودة بين أيدينا الآن . وهكذا نجد فى كل سِفْرٍ من الأسفار المقدمة خليطا من أنواع الكتابة المختلفة ، مما يدع المجال فسيحا للمتخصصين فى دراسات الكتاب المقدس لكى يحاولوا التوفيق بين هذه «الكتابات المتعارضة» الغريبة الشاذة .

It can be left to the specialists to find the reasons for this add assortment of documents .

إن العهد القديم (التوراة) إنما هو تجميع عشوائى تم تجميعه أساسا من التراث الشفهى . ومن الطريف بناء على ذلك أن نقارن الظروف التى نشأ وتكوّن من خلالها بالظروف التى تكون مشابهة عند نشأة وتكوين تاريخ شعب من الشعوب البدائية فى مكان آخر وزمان آخر فى فجر تاريخ الإنسانية .

ولنأخذ كمثال ميلاد التاريخ الأدبى الفرنسى فى عهد ما يسمى بمملكة الفرنجة Frankish Royalty . إن التراث الشفهى لهذا العصر التاريخى قد تم تناقله محتفظا بالأحداث الهامة مثل الحروب التى كانت تنشب غالبا دفاعا عن المسيحية ، والأحداث التى تتضمن تاريخ حياة الأبطال الذين برزوا بين صفوف الشعب وألهموا الرواة الشعبيين الملاحم والروايات العاطفية حيث أثبت الأبطال وجودهم فى هذه الملاحم والروايات ، وقُدِّر لهذه الروايات الشعبية على مدار قرون من الزمان أن تكون مصدر إلهام لشعراء بلاط الملوك، وشعراء الملاحم الشعبية و بهذه الطريقة ، ومنذ القرن الحادى عشر الميلادى كانت الأشعار الملحمية التى كانت تختلط فيه الحقائق بالخرافات تُشَكِّلُ مقوّمات الشعر الملحمى ومن أشهر نماذجه « **ملحمة رولان** La Chanson of Raland» وهى ملحمة روائية شعرية حربية يبرز فيها «**رولان**» قائد مؤخرة جيش الإمبراطور شارلمان عند عودته من الحملة على إسبانيا . وليست تضحية رولان محض خيال إذ أن تاريخها قد تحدد فى يوم ١٥ أغسطس عام ٧٧٨ م . وقد حدث فعلا أن الباسك سكان الجبل قد قاموا بهجمة شرسة على القوات التى كان يقودها رولان . إن مؤلف هذه الملحمة الشعرية لم يعتمد على الخيال المحض

وحده ولكنه اعتمد على حدث تاريخى . ولكن المؤرخين لا يأخذون كل ما رواه الشاعر حرفيا كحقائق يتم تسليم المؤرخين بصحتها كلها .

إن هذا التوازى والتماثل بين نشأة نصوص الكتاب المقدس ونشأة نصوص الأدب الشعبى يبدو أمرا واضحا ومتفقًا مع الحقيقة . لا سبيل إلى اعتبار نصوص الكتاب المقدس كلها كما هى بين أيدينا اليوم كمخزن لخرافات الميثولوچيا كما يفعل أولئك الذين يرفضون تماما فكرة (١) وجود الله ، ومن الممكن أن نعتقد اعتقادا جازما بحقيقة خلق الله للعالم ، وبأن الله قد أوحى الوصايا العشر إلى سيدنا موسى عليه السلام ، وأن الله قد تدخلت قدرته فى شئون البشر لتحقيق معجزات عصر سيدنا سليمان عليه السلام . ولا يمنعنا كل ذلك فى نفس الوقت من أن نعتبر أن ما وصل إلينا إنما هو خلاصة الأحداث والحقائق وأن تفاصيل سردها ووصفها يلزم أن تخضع للنقد الصارم الدقيق الذى يقتضى التمحيص والتدقيق . والسبب فى ذلك هو أن التداخل البشرى(٢) فى نقل هذا التراث الشفوى وتسجيله وتناقله إنما هو تداخل كبير جدا .

# أسفار التوراة

## *The Books of the old Testament*

التوراة – أو العهد القديم – هى مجموعة من الأسفار المختلفة من حيث طول كل منها، وهى مختلفة أيضا فى نوعية موضوع وأسلوب كل منها . ولقد كُتبتْ هذه الأسفار فى لغات متعددة على مدار فترة زمنية تزيد على تسعمائة سنة ، بالاعتماد على تراث شعبى شفوى . وكثير من هذه الأسفار تم تصويبها أو إكمالها اتساقا مع الوقائع والأحداث أو المتطلبات الخاصة Special Requirements على فترات متباعدة فى الزمان فى كثير من الأحيان .

وربما كان هذا الأدب المزدهر والمزهر المتعدد الألوان قد نضج فى بداية عهد المملكة الإسرائيلية قرابة القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، فى ذلك العهد ظهر معظم أفراد هيئة «الكتبة» فى بلاط الأسر الملكية الحاكمة . ولقد كان بينهم رجال مثقفون لم يكن دورهم مقصورا على احتراف الكتابة والتدوين . وإلى هذا التاريخ يمكن رد وإرجاع الكتابات الأولى ، وهى كتابات متناثرة قَدّمنا أمثلة ونماذج لها فى الفصل السابق ، كانت لها أهمية خاصة تدفع إلى تسجيلها كتابيا مثل

(١) ليست المشكلة هنا هى مشكلة وجود أو عدم وجود الله ، ولكن المشكلة هى بحث ما إذا كان الكلام الموجود بين دفتى التوراة هو كلام الله . (المترجم) .

(٢) هذه النتيجة التى انتهى إليها المؤلف فى ختام هذا الفصل من فصول كتابه هى ما قرره القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وخلاصته أن فريقا من البشر قد حرفوا كلام الله عن مواضعه وحذفوا منه وأضافوا إليه وأساءوا تفسيره وتطبيقه . (المترجم) .

الأناشيد التى سبق أن أشرنا إلى نماذج لها ونبوءات يعقوب وموسى والوصايا العشر وبعض النصوص التشريعية العامة التى تضمنتها التقاليد الدينية قبل أن تصاغ فى صيغة قوانين قابلة للتنفيذ Laws. ولقد كانت هذه الأنماط الكتابية متناثرة هنا وهناك فى مجموعات متعددة لتتداخل بعدئذ فى العهد القديم . The Old Testament .

ولم يظهر النص المكتوب بنص «يهوا» أو النص «اليَهْيوى» نسبة إلى الإله «يهوا» إلا فى وقت متأخر قليلا ربما يكون فى القرن العاشر قبل الميلاد . وهذه النصوص هى التى شكلت حجر الأساس للأسفار الخمسة الأولى من التوراة التى تعرف بأسفار موسى الخمسة ، وظهرت وأضيفت إلى هذه الأسفار النصوص الإلهيمية نسبة إلى الإله إلوهيم Elohim وأضيف إلى ذلك النصوص المعروفة باسم النصوص الكهنوتية نسبة إلى الكهنة Sacerdotal Version والنص اليَهْيوى الأول فى صورته الأولى يتصل بالآراء حول خلق العالم The Orgin Of The World حتى وفاة يعقوب . وهذه النصوص تعزى إلى مملكة يهوذا Judah فى جنوبى فلسطين .

وفى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وحتى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد أخذ الطابع النبوى فى الظهور والانتشار بظهور إلياس Elias واليشع Elisha وتوجد أسفار باسم كل منهما فى التوراة اليوم . وفى هذا الوقت ظهر النص الإلوهيمى Elohist Text أيضا ، وهو النص الذى يطلق عليه اسم البنتاتوش Pentateuch وهو يتعلق بمدة زمنية أقل من النص اليَهْيوى حيث إنه يرتبط بحقائق تتصل بسيدنا إبراهيم ويعقوب ويوسف ، ويرجع إليه تاريخ نشأة سفر يشوع Joshua وسفر القضاة Judges .

ولقد شهد القرن الثامن قبل الميلاد ظهور أنبياء يجيدون الكتابة Writer - Prophets مثل عاموس Amos وهوشع Hosea فى مملكة إسرائيل الشمالية وكذلك ظهور ميخا Michah فى مملكة يهوذا الجنوبية .

وبالاستيلاء على «السامرة» فى عام ٧٢١ قبل الميلاد انتهت مملكة إسرائيل . وورثت مملكة يهوذا فى الجنوب تركة تراثها الدينى . وتنتمى مجموعة أسفار الأمثال Proverbs إلى ذلك العصر الذى تميز بمحاولة جمع نص التوراة اليَهْيوى والإلوهيمى فى مجموعة واحدة . وبهذه الطريقة تكونت وتشكلت التوراة ، وتمت كتابة سفر التثنية Deuteronomy فى ذلك الوقت .

وفى النصف الثانى من القرن السابع قبل الميلاد ، يتلاقى حكم يشوع Josiah مع بداية عصر النبى أرميا Jeremiah ولكن ما أثر عن أرميا لم يسجل كتابيا إلا بعد قرن من الزمان .

وقبل السبى البابلى الأول فى عام ٥٩٨ قبل الميلاد ظهرت أسفار صفنيا Zephaniah وناحوم Nahumوحبقوق Habakkuk ويرجع سفر نبوءات حزقيال Ezekiel إلى ذلك الوقت أيضا من أوقات السبى البابلى الأول .

وكان سقوط القدس Jerusalem فى عام ٥٨٧ قبل الميلاد مؤذنا ببداية عصر السبى البابلى الثانى الذى استمر حتى عام ٥٣٨ قبل الميلاد .

أما سفر حزقيال Ezekiel الذى كان يعد آخر أنبياء بنى إسرائيل العظام ونبىّ السبى البابلى فهو لم يحظ بالترتيب الذى يوجد عليه هذا السفر الآن بالتوراة إلا بعد موْته إذ قام بتدوينه مجموعة من الكتبة كانوا تلاميذه الروحيين. ونفس أولئك الكتبة هم أصحاب إحدى الروايات المتميزة لسفر التكوين Genesis وهى الرواية المعروفة بتوراة الكتبة Sacerdotal Version وهى الرواية التى أوردت قصص خلق العالم والقصص الممتدة حتى موت يعقوب .

وهكذا تم إدخال نص رواية ثالثة فى صياغة التوراة تضاف إلى النص اليَهْوى والنص الإلوهيمى للتوراة ، وسنرى فيما بعد مظاهر تداخل هذا النص المنسوب إلى الكتبة فى الأسفار التى كتبت منذ أربعة قرون . وفى هذا العصر أيضا ظهر سفر المراثى Lamentations .

وبانتهاء الأسْر البابلى بأمر من كسرى Cyrus ملك الفرس سنة ٥٣٨ قبل الميلاد ، عاد اليهود إلى فلسطين ، وأعادوا بناء الهيكل فى القدس ، واستأنف أنبياء بنى إسرائيل نشاطهم ونشأ عن ذلك ظهور سفر حجى Haggai وسفر زكريا Zechariah والسفر الثالث لأشعيا Isaiah وسفر ملاخى Malachi وسفر دانيال Daniel وسفر باروخ[١] Baruch .

والعصر الذى يلى السبى البابلى يعتبر أيضا عصر أسفار الحكمة The Books Of Wisdom مثل: سفر الأمثال Proverbs الذى تمت كتابته على وجه التحديد فى عام ٤٨٠ قبل الميلاد ،وسفر أيوب Job الذى كُتبَ فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، وسفر الجامعة Ecclesiastes الذى يرجع تاريخ كتابته إلى القرن الثالث قبل الميلاد كما يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد أيضا سفر نشيد الإنشاد The Song Of Songs أما أسفار أخبار الأيام Chronicles الأول والثانى وسفر عزرا Ezra وسفر نحميا Nehemiah وسفر ابن سيراخ فهى قد ظهرت فى القرن الثانى قبل الميلاد . وهناك أسفار أخرى تاريخ كتابتها وتدوين نصوصها غير معروف مثل أسفار راعوث Ruth وإستير Esther ويونس Jonah وأيضا لا يُعْرَفُ تاريخ كتابة أسفار طوبيا Tobet ويهوديت Judith وكل تأريخ لهذه الأسفار إنما هو قابل للتعديل حيث إن الكتابة لم تستخدم بالنسبة لأسفار العهد القديم إلا بعد قرن واحد قبل ميلاد المسيح . ولم تتم كتابتها على وجه التحديد فى نظر كثير من الباحثين إلا بعد قرن من ميلاد المسيح عليه السلام .

وهكذا يبدو لنا العهد القديم صرحا أدبيا للشعب اليهودى منذ بدء تاريخه حتى مجىء المسيحية. ولقد كتبت أسفار العهد القديم فيما بين القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن الأول .

(١) لا وجود لسفر باروخ فى التوراة الآن ويقال : إنه مكتوب باللغة اليونانية . (المترجم) .

وليست هذه وجهة نظر شخصية لتاريخ كتابة هذه الأسفار التوراتية، إذ أن المعلومات التى قدمتها بين يدى القارئ الكريم إنما هى مستقاة مما كتبه العلامة ج . ب. ساندروز عن العهد القديم بدائرة المعارف يونيڤا ساليز Encyclopedia Universalis طبعة عام ١٩٧٤ فى باريس الجزء الثالث صفحة ٢٦٤ إلى صفحة ٢٥٣ . ولكى نفهم ما يقدمه لنا العهد القديم فمن الضرورى أن نضع فى اعتبارنا هذه المعلومات التى أسلفناها عن التوراة كما قدمها لنا بكل دقة ممكنة أكبر المتخصصين فى اللاهوت .

ويختلط الوحى الإلهى Revelation بكل هذه الكتابات التى تم تدوينها فى التوراة ، ولكن كل ما نمتلكه اليوم إنما هو ذلك الذى ارتأى البشر أن يتركوه لنا . إن أولئك «الرجال» الذى كتبوا نصوص العهد القديم قد تعاملوا مع هذه النصوص كما كان يحلو لهم وفقاً للظروف التى عاشوها ونزولاً على مقتضيات الضرورات التى واجهوها وصادفوها .

وعندما تتم المقارنة بين هذه المعلومات ،وبين ما يدبجه كُتّاب المقدمات للطبعات المختلفة من الكتاب المقدس ليطلع عليها جماهير الناس – نتحقق أن الحقائق تُقدَّمُ للناس على نحو مختلف عن هذه الحقائق التى أشرنا إليها تماما . إن الحقائق الأساسية الهامة الدلالة Fundamental Facts المتعلقة بتاريخ كتابة نصوص أسفار وكتب الكتاب المقدس يتم التغاضى عن ذكرها ويلتزمون الصمت التام حيالها ، والعبارات الغامضة المضللة للقارئ يكثر استخدامها ،ويتم تهوين شأن الاعتبارات المهمة الأساسية إلى حد يعطى القارئ فكرة خاطئة عن الوقائع التى حدثت بالفعل . وهكذا تتحايل وتفتأت كثير من مقدمات الطبعات المختلفة من الكتاب المقدس على الحقيقة . وفيما يتعلق بشأن الأسفار التى يتم تعديلها يقال: إن تفاصيل معينة قد تمت إضافتها بعد ذلك «Some Certain Detalis May Have been Added Later on» وتتم مناقشة وتأمل وإبداء الملاحظات على جزء غير مهم ، ولكن الأجزاء الطويلة الهامة المحرجة التى يوجد بها أمور متناقضة وغير معقولة يتم تجاوزها وإغفال التعرض لها فى صمت. ومما يبعث على الأسى والأسف أن نجد هذه المعلومات غير الدقيقة على صفحات الكتاب المقدس المعد للنشر على جماهير الناس Is Dis- It tressing To See Such Inaccurate Information On The Bible Maintained For Mass Pub- lication[1] .

(١) أوردنا نص كلمات المؤلف وفقا للترجمة الإنجليزية لكتابه حتى لايخطر ببال أحد أننا نحوّر المعنى فى ترجمة بعد أحكامه الهامة . (المترجم) .

# أسفار موسى الخمسة
# *The Pentateuch*

التوراة Torah اسم مستمد من اللغة السامية . وتُطْلق تسمية توراة موسى بالتحديد على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم .

أمَّا الكلمة اليونانية التى أُشتُقَّت منها الكلمة الإنجليزية Pentateuch أو الكلمة الفرنسية Pen-tateuque فهى تعنى فى اللغة اليونانية الكتاب المكون من خمسة فصول ، أو خمسة أجزاء أو أى عمل مكوَّن من خمسة أجزاء ، وهذا يعنى بالنسبة إلى التوراة : الأسفار الخمسة الأولى وهى : سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية . وهذه الأسفار الخمسة إنما هى الأسفار الخمسة الأولى ضِمْن مجموعة أسفار العهد القديم التى يبلغ عدد أسفارها جميعا تسعة وثلاثين سفْراً تشكل كلها ما يسمى بالعهد القديم أو التوراة .

وتتناول نصوص هذه الأسفار أصل العالم حتى دخول بنى إسرائيل أرض كنعان وهى الأرض الموعودة لهم بعد خروجهم من مصر فيما يعتقد بنو إسرائيل ، على وجه التحديد حتى وفاة سيدنا موسى عليه السلام . وحكاية هذه الأحداث تُستخدم على كل حال كإطار عام لوصف الأحكام ونظم الحياة الدينية والاجتماعية للشعب اليهودى ومن هنا جاء اسم التوراة Torah أو الناموس Law .

ولقد اعتبرت الديانة اليهودية والديانة المسيحية طوال قرون عديدة أن مؤلف هذه الأسفار الخمسة التى كان يطلق عليها اسم توراة موسى هو سيدنا موسى عليه السلام بنفسه . وربما كان مصدر يقين اليهود والمسيحيين هذا هو قول الله لسيدنا موسى «اكتب هذا تذكارا فى الكتاب» (سفر الخروج ١٧ : ١٤) .

فى أعقاب هزيمة العماليق أو ما جاء فى سفر العدد ونَصُّه : «وكَتَبَ موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب» (سفر العدد ٣٣ : ٢) ، أو ما جاء بسفر التثنية ونصُّه : «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عَهْد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل» . (سفر التثنيه ٢١ : ٩) . ومنذ القرن الأول قبل الميلاد حتى اليوم تم نبْذ ومعارضة نظرية أن سيدنا موسى قد كتب بنفسه الأسفار الخمسة المنسوبة إليه كلها بحالتها الراهنة فى التوراة . ودافع عن هذا الرأى كل من فلافيوس جوزيف Flavius Josephus وفيلو السكندرى Philo .

ولقد تم رفض نظرية أن موسى هو الذى كتب الأسفار الخمسة المعروفة باسم أسفار موسى فى الوقت الحاضر تماما . يتفق كل الناس على رفضها ، وبالرغم من ذلك ينسب العهد الجديد هذه الأسفار الخمسة إلى سيدنا موسى عليه السلام . إن القديس بولس يقول بالجملة الخامسة من

الأصحاح العاشر من الرسالة إلى أهل رُوميَّة ما نصه : «لأن موسى يكتب فى البر الذى بالناموس إن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها» . وهو بهذا يقتبس نصًا موجودا فى سفر اللاويين . والقديس يوحنا يجعل المسيح يقول ما يلى : «لأنكم لو كنتم تَرَوْنَ موسى لكُنْتم تصدِّقوننى لأنه هو كَتَبَ عنِّى. فإن كنتم لستم تصدقون ما كَتَبَ فكيف تصدقون كلامى». (إنجيل يوحنا : ٤٦ - ٤٧) .

وحجر الزواية فى هذا النص هو أن موسى «كان قد كتب» عنه . وفعل «كتب» فى اللغة اليونانية هو Episute واستخدام هذا الفعل كما وَرَدَ فى إنجيل يوحنا إنما هو استخدام فيه مغالطة لا ريب فيها ، وفيما يلى بيان ذلك .

وأنا أستعير عناصر البرهنة على هذه المغالطة وكشفها على ما أورده الأب «**دى فو** Father De Vaux» مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس . وقد كتب الأب دى فو مقدمة لترجمته لسفر التكوين فى عام ١٩٦٢ ، وتناول فى هذه المقدمة أسفار موسى الخمسة باعتبار أن سفر التكوين واحد منها . وهى مقدمة مهمة قيمة تتضمن حججا وأدلة قوية تَنْقُضُ النظرية الخاصة بكتابة سيدنا موسى للأسفار الخمسة الأولى بالتوراة .

إن الأب دى فو يؤكد لنا أن التراث اليهودى الذى آمن به المسيح وتلاميذه ظل مقبولا كما هو حتى العصور الوسطى . والشخص الوحيد الذى عارض هذه النظرية كان هو ابن عزرا Ibenezra فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد . وفى القرن السادس عشر لاحظ كارلشتاد Carlstadt أن سيدنا موسى يستحيل أن يكون قد كتب بنفسه كيف مات (كما ورد ذلك بالأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية بالجمل من ٥ إلى ١٢) . ويذكر الأب دى فو نقادا آخرين ممن درسوا أسفار موسى يؤكدون أن موسى لم يكتب أجزاء كثيرة من الأسفار المنسوبة إليه . ويذكر الأب دى فو على وجه الخصوص الدراسة التى قام بها ريشار سيمون Richard Simon بعنوان : «التاريخ النقدى للعهد القديم Histoire Critique Du Vieux Testament» . فى عام (١٦٧٨) . ولقد أبرز ريشار سيمون التناقضات الخاصة بتسلسل الأحداث وكثرة التكرار وفوضى الروايات بخصوص الحدث الواحد ، والفروق بين أسلوب تحرير وكتابة الأسفار فى أسفار موسى الخمسة مما يستحيل معه أن يكون كاتبها شخصاً واحداً هو سيدنا موسى عليه السلام . ولقد أثار كتاب ريشار سيمون سخطا كبيرا وضجة شديدة ، ولكن لم يدحض أحد الحجج والأدلة والبراهين المدعومة بالأمثلة التى قدمها ريشار سيمون . ولقد اتضح منذ القرن الثامن عشر أن كثيرا من الخرافات قد نبعت مما يزعمون أن موسى «قد كتبه» فى الأسفار الخمسة المنسوبة إليه فى التوراة .

وإن الإنسان يستطيع أن يتخيل مدى الصعوبة فى دَحْرِ خرافة يعضدها المسيح نفسه الذى كان العهد الجديد ينسب إليه أنه كان يؤيد خرافة أن سيدنا موسى هو كاتب الأسفار الخمسة الأولى بالتوراة . ويرجع الفضل فى الإجهاز على هذه الخرافة إلى جان آستروك Jean Astruc الطبيب الخاص لملك فرنسا لويس الخامس عشر ، فهو الذى قَدَّم لنا الأدلة الحاسمة فى هذا الصدد .

لقد نَشَرَ چان آستروك دراسة بعنوان : «قرائن وملاحظات على المذكرات الأصلية التى يبدو أن موسى قد دأب على كتابتها فى سفر التكوين» . ولقد ركز چان آستروك على تأكيد تعدد المصادر فى سفر التكوين . وربما لم يكن چان آستروك هو أول من لاحظ تعدد المصادر التى قامت بتدوين سفر التكوين ، ولكنه كانت لديه على كل حال الشجاعة The Courage أن ينشر على جمهور الناس رأيا على أعظم قَدْرٍ من الأهمية وهو وجود نَصَّيْن جنبا إلى جنب فى سفر التكوين ، وفى كل منهما تسمية مختلفة تُطْلَق على الله. الله مرة هو «يَهْوَا» فى أحد النصوص ، ومرة أخرى ، فى نص مجاور بسفر التكوين نجد أن الله هو «إلوهيم» والنص الذى وردت فيه تسمية الرب «إلوهيم » يلزم أن يكون نصا متأخرا عن عصر سيدنا موسى عليه السلام .

ثم قام إيكهورهن Eichorn (١٧٨٠ – ١٧٨٣) بنفس الاكتشاف فيما يتعلق بالأسفار الأربعة الأخرى .

ولاحظ إلجن Ilgen (١٧٩٨) أن أحد النصين اللذين مَيَّز وفَرَّقَ بينهما چان آستروك وهو النص الذى يسمى الله باسم «إلوهيم» توجد أدلة قوية تؤكد أنه هو نفسه ينقسم إلى قسمين تمت كتابة كل منهما فى عهدين بينهما فاصل زمنى كبير ، ولو كتب سيدنا موسى أحدهما يستحيل أن يكتب الآخر مما يستحيل معه أن يكون سيدنا موسى هو كاتب سفر التكوين . وهكذا تَفَتَّتْ تماما أسفار موسى الخمسة .

ولقد شهد القرن التاسع عشر أبحاثا علمية أكثر دقة فى بحث أصول ومصادر التوراة. وفى عام ١٨٥٤ تم التعرف على أربعة مصادر أطلقوا عليها أسماء هى : المصدراليَهْوِىُّ ، والمصدر الإلوهيمى ، وسفر التثنية ، والمصدر الكهنوتى . ولقد أمكن وضع تاريخ لظهور كل مصدر من هذه المصادر الأربعة كما يلى :

١ – المصدر اليهوى كان موجودا منذ القرن التاسع قبل الميلاد وتمت كتابته فى يهودا (مملكة الجنوب) .

٢ – المصدر الإلوهيمى أقرب إلينا زمنيا وقد تمت كتابتها فى إسرائيل أو مملكة الشمال.

٣ – سفر التثنية بدأ تدوينه فى القرن الثامن قبل الميلاد فى رأى إدموند چاكوب ، بينما يرجعه مؤرخون آخرون مثل الأب دى فو إلى القرن السابع قبل الميلاد ، وعلى وجه التحديد إلى عصر جوزيا Josiah.

٤ – المصدر الكهنوتى ينتمى إلى عصر السبى البابلى ، أى إلى القرن السادس قبل الميلاد .

ونستخلص من الدراسات السابقة المحققة المدققة أن تدوين أسفار موسى الخمسة قد استغرق ما لا يقل عن ثلاثة قرون[١] من الزمان .

(١) تقول التوراة : إن سيدنا موسى –عليه السلام –كان ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته ، فهل كان يكتب الأسفار الخمسة بعد موته بمئة وثمانين سنة ؟ (المترجم) .

ولكن هذه المشكلة على كل إنما هى أكثر تعقيدا وتشعّباً من كل ما ذكرناه. ففى عام ١٩٤١ أشار أ . لودز A. Lods إلى إمكانية التمييز بين ثلاثة مصادر للأصول اليهوية Yahivist وأربعة مصادر للأصول الإلوهية Elohist وستة مصادر لسفر التثنية Deuteronomy وتسعة مصادر للنصوص الكهنوتية Sacerdotal ولا يشتمل هذا التنوع على الإضافات الأخرى التى تتوزع بين ثمانية من الكتبة الذين حرروا نصوص هذه الأسفار بالتوراة . وكما كتب «الأب دى فو» فإنه قد استقرت الآراء على أن عددا من روايات أسفار موسى الخمسة لها مصدر آخر أكثر قدماً من هذه المصادر كلها صدرت عنه الشرائع والقوانين الموجودة فى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة . ويفضى ذلك إلى ضرورة المزيد من البحث فى مشكلات هذا التراث . وبذلك تتعقد المشكلة لدرجة أن يصبح الإنسان غير قادر أن يعرف كيف يحدد موقفه منها على الإطلاق .

ويفضى تعدد المصادر التى تداخلت فى نصوص التوراة إلى وجود كثير من التناقض والتباين والتكرار فى الروايات عن ذات الأحداث بأساليب غير متطابقة فى عديد من نصوص أسفار التوراة . ويعطى الأب«دى فو» أمثلة كثيرة على تناقض هذه النصوص الموروثة فيما يتعلق بخلق العالم ، وبدء الحياة ، والطوفان وتعدد أسماء الشخص الواحد ، وأبناء وأحفاد قابيل ، وخطف يوسف ، وما جرى بمصر ، ومختلف صور الروايات عن الحدث الواحد من الأحداث الهامة.

ومن كل ذلك يتضح أن أسفار موسى الخمسة الموجودة بصدر التوراة تتضمن أقوالا موروثة تم جمعها من مصادر متعددة مختلفة وقام بتحريرها كتابيا كتاب ومحررون وضعوا ما جمعوه جنبا إلى جنب ، وغيرّ بعضهم وبدل صياغة الروايات وسردها بأساليب مختلفة دون اكتراث أو دون قدرة على تفادى الاختلاف بحيث كان فى بعضها زيادة وفى بعضها الآخر حَذْف ، مما أفضى إلى وجود أمور متنافرة متناقضة غير معقولة كان من شأنها أن اضطرت الباحثين إلى بذل الجهود الموضوعية لدراسة هذه المصادر التى صدرت عنها أسفار التوراة .

واستنادا إلى دراسات نقد النصوص الدينية تُعْطى أسفار موسى الخمسة أكثر الأمثلة وضوحا على ممارسات التعديل والتبديل التى قام بها البشر فى نصوص أسفار التوراة فى فترات مختلفة من عصور تاريخ الشعب اليهودى كما تعطينا هذه الدراسات أمثلة واضحة عن التعديلات التى طرأت على التراث الشفهى قبل مرحلة الكتابة والتدوين للنصوص التى تناقلتها الأجيال السابقة جيلا بعد جيل .

لقد بدأت أسفار موسى الخمسة فى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد بدءا بمرحلة التراث اليهاهيوى الذى يحكى عن ابتداء أصل العالم ، وهو لايتضمن أكثر من الخطوط العريضة لتحركات الشعب الإسرائيلى دون تفاصيل للمعارك أو الأحداث التاريخية كما يقول الأب دى فو: «وهكذا يبدو تاريخ بنى إسرائيل فى هذه المرحلة خاضعا تماما لما يقرره الله بشأن بنى إسرائيل فى

النطاق الإنسانى» وإذا شارفنا الوصول إلى القرن السادس قبل الميلاد يطالعنا النص الكهنوتى الذى ينصب اهتمامه على التواريخ والأنساب .

وهنا يقول الأب دى فو : «إن ما تتميز به هذه النصوص هو الروايات التى تهتم بالاعتبارات التشريعية . ومن ذلك الراحة من العمل يوم السبت والارتباط فى سلسلة النسب مع نوح ومع إبراهيم والختان وشراء مغارة مكيلا التى أعطت سندا لملكية بنى إسرائيل لأرض كنعان» . ويلزم أن نضع فى اعتبارنا أن النصوص الكهنوتية قد تراكمت عند العودة من السبى البابلى والاستقرار مرة ثانية بأرض فلسطين ابتداء من سنة ٥٣٨ قبل الميلاد مما أفسح المجال للتداخل والتشابك بين المسائل الدينية البحتة والمشاكل السياسية الدنيوية .

وفيما يتصل بسفر التكوين على حدة نجد أن إمكانية تقسيم هذا السفر إلى ثلاثة أصول يمكن رد نصوصه إليها إمكانية أكيدة لاشك فيها . ويحدد الأب دى فو فى تعليقاته الكثيرة على ترجمته لكثير من فقرات نصوص سفر التكوين بحالتها الراهنة المصادر المتعددة لكل فقرة من هذه الفقرات. وإذا اعتمدنا على هذه المعلومات نستطيع أن نحدد المصادر المختلفة للأصحاحات . وعلى سبيل المثال ، نجد أنه فيما يتعلق بمسألة خلق العالم والطوفان حتى عهد سيدنا إبراهيم وهى الموضوعات التى تشغل الأحد عشر أصحاحا الأولى من سفر التكوين نرى المصدر الياهوى يليه ويأتى بعد المصدر الكهنوتى ولانجد شيئا يتصل بالمصدر الإلوهيمى فى الأصحاحات الأحد عشر الأولى من سفر التكوين . ويظهر فيها بوضوح أيضا بداية التداخل بين معطيات المصدر الياهوى والمصدر الكهنوتى . أما فيما يتعلق بخلق العالم حتى عهد سيدنا نوح فإننا نجد أن التداخل بين المصدرين بسيط ، فقرة مستمدة من المصدر الياهوى تأتى بعدها فقرة من المصدر الكهنوتى . وهكذا أما فيما يتعلق بقصة الطوفان وخاصة فى الأصحاح السابع والأصحاح الثامن نجد أن التداخل بين المصدرين يشتد إلى حد أننا نجد جملة واحدة من أحد المصدرين تليها جملة أو فقرة كاملة من المصدر الآخر .

ومن هنا كانت هذه التناقضات والأمور غير المعقولة التى نجدها واضحة أمامنا اليوم بالتوراة . وسيوضح الجدول التالى المصادر المتداخلة فى نصوص سفر التكوين .

# جدول توزيع النص الياهوى والنص الكهنوتى فى سفر التكوين

- يشير الرقم الأول جهة اليمين إلى رقم الأصحاح فى سفر التكوين .

- ويشير العمود الثانى الموضوع بين قوسين إلى رقم كل جملة فى الأصحاح . وربما تكون الجملة مشطورة شطرين يشار إلى أحدهما بالحروف (أ) أو الحرف (ب) .

- يشير حرف الياء إلى النص الياهوى .

- ويشير حرف الكاف إلى النص الكهنوتى .

**مثال : قراءة السطر الأول بالجدول**

بالأصحاح الأول من أول جملة حتى الأصحاح الثانى فيما عدا الجملة الرابعة مصدره هو الأصل الكهنوتى .

| من الأصحاح | الآيـة | إلى الأصحاح | الآيـة | المصدر |
|---|---|---|---|---|
| ١ | (١) | ٢ | (٤ أ) | ك كهنوتى |
| ٢ | (٤ ب) | ٤ | (٢٦) | ى ياهوِى |
| ٥ | (١) | ٥ | (٣٢) | ك |
| ٦ | (١) | ٦ | (٨) | ى |
| ٦ | (٩) | ٦ | (٢٢) | ك |
| ٧ | (١) | ٧ | (٥) | ى |
| ٧ | (٦) | | | ك |
| ٧ | (٧) | ٧ | (١٠) | ى (معدل) |
| ٧ | (١١) | | | ك |
| ٧ | (١٢) | | | ى |
| ٧ | (١٣) | ٧ | (١٦ أ) | ك |
| ٧ | (١٦ ب) | ٧ | (١٧) | ى |

| من الأصحاح | الآيـة | إلى الأصحاح | الآيـة | المصدر |
|---|---|---|---|---|
| ٧ | (١٨) | ٧ | (٢١) | ك |
| ٧ | (٢٢) | ٧ | (٢٣) | ى |
| ٧ | (٢٤) | ٨ | (٢ أ) | ك |
| ٨ | (٢ ب) | | | ى |
| ٨ | (٣) | ٨ | (٥) | ك |
| ٨ | (٦) | ٨ | (١٢) | ى |
| ٨ | (١٣ أ) | | | ك |
| ٨ | (١٣ ب) | | | ى |
| ٨ | (١٤) | ٨ | (١٩) | ك |
| ٨ | (٢٠) | ٨ | (٢٢) | ى |
| ٩ | (١) | ٩ | (١٧) | ك |
| ٩ | (١٨) | ٩ | (٢٧) | ى |
| ٩ | (٢٨) | ١٠ | (٧) | ك |
| ١٠ | (٨) | ١٠ | (١٩) | ى |
| ١٠ | (٢٠) | ١٠ | (٢٣) | ك |
| ١٠ | (٢٤) | ١٠ | (٣٠) | ى |
| ١٠ | (٣١) | ١٠ | (٣٢) | ك |
| ١١ | (١) | ١١ | (٩) | ى |
| ١١ | (١٠) | ١١ | (٣٢) | ك |

أى إيضاح أكثر مما يوضحه هذا الجدول لمقدار الكم الهائل من النصوص التى أدخلها الناس وزجوا فيها فى أسفار التوراة ؟!

# أسفار التأريخ

## *The Historical Books*

فى هذه الأسفار من التوراة ندخل فى تفاصيل تاريخ الشعب اليهودى منذ الأيام الأولى لمجىء هذا الشعب إلى أرض الميعاد The Promised Land (وهو ما يحتمل أن يكون قد بدأ فى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد) حتى السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد.

وتؤكد قراءة هذه الأسفار التأريخية ما يجوز لنا أن نُسميه «الحدث القومى» أى الحدث المؤثر تأثيرا يحدث تحوُّلا فى تاريخ قوم من الأقوام أو أمة من الأمم National Event ألا وهو تحَقُّق الكلام الإلهى المقدس The Fulfilment Of The Divine Words وفى القصص الموجود بهذه الأسفار نجد أن الدقة التاريخية قد أزيحت جانبا إذ نجد سفرا مثل سفر يشوع Joshua مثلا قد صيغ أوّلا وقبل كل شىء وفقا للاعتبارات الدينية المحضة Theological intemtions ومن هنا فقد لاحظ إدموند جاكوب التناقض الواضح بين مكتشفات علم الآثار فيما يتعلق بما تدعيه التوراة من تدمير مدينة جريشكو Jereicho ومدينة آى Ay .

وتم تكريس أصحاحات سفر القضاة Book Of Judges لموضوعات دفاع شعب الله المختار عن نفسه ضد الأعداء المحيطين به ، وللمساندة التى تمثلت فى مساعدة الله له . ولقد أُدْخِلَتْ[1] التعديلات على الكتاب أكثر من مرة كما لاحظ الأب ليفيڤر A. Lefevre فى تمهيده لطبعة توراة كرامبون Crampon إذ يقول : «إن كتابة مقدمات للنص وتعليقات عليه تشهد بوجود التعديلات فى النص التوراتى . إن قصة راعوث كلها قد أقحمت على النصوص[2] بسفر القضاة» .

وسِفْرُ صموئيل، وسفر الملوك الأول والثانى فهى فى المقام الأول مجموعات من القصص تحكى حكايات الملوك صموئيل Samuel وشاؤل Saul وداود David وسليمان Solomon وقيمة كل منهم التاريخية هى موضوع الدراسة . وبها – من وجهة نظر إدموند جاكوب –كثير من الأخطاء؛ لأنه توجد أحيانا ثلاث روايات مختلفة التفاصيل للحدث الواحد من الأحداث . ونجد أيضا أخبار أنبياء فى هذه الأسفار مثل أخبار إلياس Elias واليشع Elisha وأشعيا Isaiah يختلط فيها عناصر تاريخية مع عناصر أسطورية وخرافية . ومن وجهة نظر باحثين آخرين مثل ليفيڤر نجد أنهم يعتبرون هذه المعلومات ذات قيمة تاريخية أساسية .

---

(١) بالأصل الإنجليزى . The Book was adapted several times

(٢) ثم تم فصلها عنه فى سفر تالٍ لسفر القضاة فيما بعد ويبدأ سفر راعوث هكذا : «حدث أنه فى أيام حُكَمْ القضاة أن صار جوع فى الأرض» . (المترجم) .

إن سفر أخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثانى ، وعزْرا ،ونحميا لها مؤلف واحد ممن كان يطلق عليهم اسم «الكاتب» مفرد «الكتبة» أو المؤرخ أو الراوية مفرد الرواة أو كان يطلق عليه فى لغة ذلك العصر اسم «كرونيلر Chronicler» فى القرن الرابع قبل الميلاد ويتناول الكتّاب بالدراسة التاريخ كله منذ بداية الخلق وحتى ذلك العصر على الرغم من أنهم يقفون بالأنساب عند سيدنا داود عليه السلام . ولقد تناولوا أسفار صموئيل وأسفار الملوك وقاموا بنسخها وتكرار روايتها بطريقة آلية[1] . دون أى اهتمام بالتناقض الموجود فيها أو التناقضات الناجمة عما أضافوه هم أنفسهم عند إعادة الصياغة فيما كانوا يكتبون منها فيما يرى إدموند چاكوب ، ويضيف إدموند چاكوب أدلة حاسمة يستمدها من اكتشافات علماء الآثار لتدعيم وجهة نظره هذه . إننا نلاحظ فى هذه الأسفار اهتماماً واضحا بتطويع التاريخ History لتلبية مطالب اللاهوت Theologyأو كما يقول إدموند چاكوب بذات ألفاظه : «إن كاتب الأسفار بالتوراة» يكتب التاريخ من وجهة نظر اللاهوت. ويقدم إدموند چاكوب مثالا للتدليل على ذلك بقوله : «ولكى يفسر الكاتب ويعلل طول مدة حكم الملك مَنَسّى واستقرار صولجان الملك بين يديه يفترض ويزعم ويكتب فى سفر أخبار الأيام الثانى أن هذا الملك قد آمن بالله أثناء رحلة أُجْبِر عليها [2] إلى بلاد آشور ، وليس لهذا الخبر أى مصدر فى التوراة أو خارج «التوراة» . ولقد تم توجيه كثير من الانتقاد إلى الكتابات المنسوبة إلى كل من «عزرا» و«نحميا» لأن كلا منهما يغص بالأخبار المتناقضة التى لا سند لها تتصل بعصر يقبع فى مجمله فى غياهب ظلام كثيف لعدم وجود وثائق تتعلق بذلك العصر المتصل بالقرن الرابع قبل الميلاد .

وتعتبر أسفار طوبيا وجوديت وأستير من الأسفار التاريخية ، ولكن فيها جرأة كبيرة على تزييف أحداث التاريخ مثل تغيير أسماء الأعلام ،واختراع شخصيات وأحداث لتحقيق أهداف ومقاصد وغايات دينية . وتحتوى هذه الأسفار على قصص ذى طابع أخلاقى ولكنها محشوّة بالأخطاء التاريخية وبحكايات عن أحداث يستحيل القبول بإمكانية حدوثها.

أما الأسفار التى تتناول تاريخ المكابيين Maccabees فهى مختلفة تماما ، وهى تعطى أحداث القرن الثانى قبل الميلاد فى روايات أقرب إلى الحقائق ، وهى تشكل فى موضوعها أصدق الوثائق بالنسبة لأحداث الحقب التى تصفها هذه الأسفار بالتوراة . وهكذا نجد أن مجموعة الأسفار التاريخية متفاوتة وليست على مستوى واحد من المصداقية وتتذبذب فيها المعالجة والسرد التاريخى بين الدقة العلمية والخرافات الوهمية.

---

(١) فى الأصل بالإنجليزية :" mechanically copying them without regard to the inconsistencies."

(٢) يقول سفر أخبار الأيام الثانى بهذا الصدد ما نصُّه :«فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك آشور فأخذوا منسى بخزامه وقيدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل . ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه وتواضع جدا أمام إله آبائه وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته» (أخبار الأيام الثانى ٣٣: ١١-١٣) وتذكر أول جملة فى هذا الأصحاح أن منسى قد دام ملكه خمسا وخمسين سنة .(المترجم) .

# الأسفار المنسوبة إلي أنبياء

## *The Prophetic Books*

يندرج تحت هذا العنوان جميع الأسفار التى تتضمن تعاليم الأنبياء الذين لايصلون إلى طبقة الأنبياء الكبار مثل : موسى وصموئيل وإليا واليشع ،ونجد أن تعاليم هؤلاء الأنبياء موجودة أيضا فى بعض أسفار التوراة ،والأسفار المنسوبة إلى الأنبياء الأقل شهرة بالعهد القديم تتصل بعصر يمتد من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثانى قبل الميلاد .

والأسفار التى تتصل بالقرن الثامن قبل الميلاد هى أسفار عاموس Amos وهوشع Hosea وأشعيا Isaiah وميخا Michah وأول هذه الأسفار مشهور بأنه قد أدان المظالم الاجتماعية ، بينما اشتهر الثانى بأنه قد أدان الفساد الدينى الذى تفشى بين بنى إسرائيل ، وهو الاعتبار الذى أفضى إلى معاناته الجسدية (من جراء إجباره على الزواج من عاهرة وثنية وفقا لتعاليم جماعة وثنية) ليكون مثله مثل الله الذى يعانى ويقاسى من جراء شعبه ، ولكنه لايزال يحب شعبه أما أشعيا فإنه يمثل التاريخ السياسى . إن الملوك يستشيرونه وتتحقق له من خلال ذلك السيادة على الأحداث ، إنه نبى تتجسد فى شخصه عظمة المستشار الدينى للملوك المعاصرين له . وبالإضافة إلى الأعمال التى قام بها بنفسه ، قام تلاميذه بنشر نبوءاته حتى القرن الثالث قبل الميلاد ، مشتملة على كثير من صور الاحتجاج على الممارسات الظالمة والتخويف من حساب الله بالإضافة إلى التبشير بمجيء اليوم الذى يتحرر فيه اليهود من السبى والعبودية ، وعودة اليهود من الشتات البابلى إلى أرض فلسطين. ومن المؤكد أن نبوءة أشعيا الثانية والثالثة تحتويان على جوانب سياسية مختلطة باعتبارات روحية فى إطار من النُّبوّة. وهذا هو الشأن أيضا فى الرسالة التى اضطلع بأدائها «ميخا» ، ولقد كان «ميخا» معاصرا لأشعيا .

وفى القرن السابع قبل الميلاد ينشط صفنيا وأرميا وناحوم وحبقوق فى التبشير بين بنى إسرائيل. ولقد أفضى التبشير إلى استشهاد أرميا ، وقام باروخ Baruch بتجميع نبوءات وتعاليم أرميا ، وربماكان باروخ هو مؤلف سفرالمراثى Lamentations .

لقد أدّتْ مدة السبى البابلى فى بداية القرن الساس قبل الميلاد إلى مولد نشاط كبير للأنبياء بين بنى إسرائيل ، ويعتبر حزقيال رمزا من أكبر الرموز بين إخوته من بنى إسرائيل، إذ كان حزقيال هو ملهم وباعث الأمل فى قلوبهم . ونبوءاته Visions مشهورة . ويصف سفر عوبيديا Obadiah كوارث وبؤس مدينة القدس المهزومة .

وبعد انتهاء السبى الذى تحقق فى عام ٥٣٨ قبل الميلاد استمر نشاط الأنبياء بين بنى إسرائيل ممثلا فى النبى حجّى Haggai وزكريا Zachariah اللذين كانا يحثان ويدعوان إلى إعادة بناء

الهيكل بالمعبد The Temple وعندما تم بناء المعبد والهيكل من جديد ، اتجهت كتابات ملاخى Malachi وجهات روحية زاخرة بالنبوءات المتنوعة .

وإن الإنسان ليعجب ويتساءل عن سبب إدراج سفر أيوب Job ضمن الأسفار التى تنسب كتابتها إلى أنبياء بنى إسرائيل مع أن العهد القديم لايعطى لأيوب أى مساحة يتكلم فيها[١] . إن سفر أيوب إنما هو حكاية تنبثق منها حقيقة مبدأ هو: ضرورة التسليم للإرادة الإلهية Divine Will .

ولقد تم كتابة سفر دانيال بثلاث لغات هى اللغة العبرية Hebrew واللغة الآرامية Aramic واللغة اليونانية Greek . وهذا السفر من وجهة نظر شراح الكتاب المقدس المسيحيين إنما هو نبوءات مأساوية ذات طابع تأريخى ، وربما كان من نتاج عصر المكابيين Maccabees فى القرن الثانى قبل الميلاد . ولقد كان مؤلفه يرغب فى أن يحافظ مواطنوه على الإيمان Faith فى عصر فشت فيه الشرور والآثام والخطايا بين مواطنيه ، وذلك بالإيحاء إليهم بأن وقت الخلاص قريب ، وهو فى متناول اليد ، فيما يرى إدموند چاكوب .

# أسفار الشعر والحكمة

## *Books Of Poetry And Wisdom*

تتمتع الأسفار المعروفة بأسفار الشعر والحكمة بوجود مَسْحَة أدبية واحدة تسودها دون جدال فى ذلك . وتحتل المزامير Psalms المقام الأول فى هذه الأسفار ، إذ أن هذه المزامير تعتبر الصرح الشامخ للشعر العبرى Hebrew Poetry ولقد قام داود David بتأليف[٢] عدد كبير منها وكتب بعض الكهنة Priests واللاويين Levites بعض المزامير الأخرى . وموضوع هذه الأسفار وتلك المزامير هو المدائح وتمجيد الله والتضرع إليه والتأملات فى ملكوته ، ولقد أدتْ هذه الأسفار والمزامير أغراض الوعظ والإرشاد. وسِفْرُ أيوب Job إنما هو سِفْر الحكمة والبرِّ بكل ما فى الحكمة والبر من معان ، ومن المحتمل أن تاريخ كتابته يرجع إلى عام ٥٠٠ – ٤٠٠ قبل الميلاد .

وربما كان كاتب سِفْرِ المراثى Lamentations المتعلق بسقوط أورشليم فى بداية القرن السادس قبل الميلاد هو النبى أرميا Jeremiah .

ولا ينبغى أن يفوتنا أن نذكر سِفْر نشيد الإنشاد The Song Of Songs وهو مجموعة من الأناشيد الرمزية تتصل وتتعلق أكثر ما تتصل وتتعلق بالحب الإلهى Divine Love وسِفْر الأمثال Proverbs

(١) سبب تعجب ودهشة المؤلف – فيما نعتقد – هو أنه يلاحظ باطراد أن كل نبىّ ممّن تنسب لهم أسفار قد كتب السفر المنسوب إليه بنفسه ، ولكن من الواضح أن النبى أيوب لم يكتب السفر المنسوب إليه ، إنه يحكَى عن «أيوب» فمن كتبه؟ (المترجم) .

(٢) من وجهة النظر الإسلامية كان سيدنا داود – عليه السلام – نبيا من أنبياء الله – عليهم السلام – ولم يكن سيدنا داود مجرد شاعر. والفرق كبير وواضح بين إلهام الشاعر النابع من ذات الشاعر وبين الإلهام أو الوحى الإلهى الذى يتضمن كلام الله إلى من اختاره الله لتبليغ كلام الله إلى الناس . انظر مقدمتنا لهذه الترجمة تحت عنوان الوحى الإلهى . (المترجم) .

وهو مجموعة من الحكَم المأثورة عن سيدنا سليمان وبعض الحكماء الآخرين المتصلين ببلاط الملوك كمستشارين ، وكذلك سِفْر الجامعة (Koheleth) Ecclesiastes حيث نوقشت أفكار متصلة بالسعادة فى الحياة الدنيا Earthiy Happiness والحكمة.

لدينا إذَنْ فى مجموعة أسفار الشعر والحكمة مجموعة من الأعمال ذات المحتوى المتنوع تَمَّتْ كتابتها فى غضون سبعة قرون على الأقل ، وهى ترجع إلى مصادر متعددة مختلفة ومتنوعة قبل أن تتجمع وتستقر فى مؤلَّف واحد . كيف والحال هى هذه استطاعت هذه المجموعة من الأعمال أن تتجمع عَبْرَ هذه القرون لكى تشكل كُلاً واحدا متصل الأجزاء التى يسودها الاتساق مع تنويعات قليلة حسب ظروف هذا المجتمع أو ذاك عَبْرَ القرون وتبعا لتنوع المجتمعات لتصبح هذه المجموعة من الأسفار بالذات هى أنصع بَلْورات الوحى اليهودى – المسيحى ؟ لقد كانت هذه المجموعة من الأسفار يُطْلَقُ عليها باللغة اليونانية لفظ واحد هو لفظ «القانون Canon» بسبب فكرة عدم القدرة على معارضة المعانى التى تتضمنها هذه الأسفار من الحكمة والأقوال المأثورة .

إن تجميع أجزاء هذه المجموعة من أسفار الشعر و الحكمة لم يتم فى العصر المسيحى بل إنه قد تم فى العصر اليهودى قبل ظهور المسيحية ، إذ يرجع تجميعها إلى بداية القرن السابع قبل الميلاد ، قبل إضافة الكتب المتأخرة للكتب المقدسة المعترف بها . ويلاحظ على كل حال أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة المعروفة بأسفار موسى قد حظيت هى الأخرى بتميز وتقدير خاص أيضا بالتوراة . ويلاحظ أن تَحَقُّقَ نُذُر الأنبياء (وهى وعود بالعقاب الإلهى من جراء الخطايا بمخالفة أوامر الله وشرائعه) قد أفضى إلى إضافة أسفار أولئك إلى الكتب المقبولة فى التوراة وعندما أشرف القرن الثانى قبل الميلاد على نهايته كان قانون الأنبياء The Canon Of Proph-et قد تشكّل .

أما الأسفار الأخرى مثل سفر المزامير Psalms فهى نظرا لما تتضمنه من نصوص ملائمة للمواعظ الدينية فقد تم إدماجها بالتوراة شأنها شأن الأسفار الأخرى التى تخدم ذات الغرض من الوعظ والإرشاد الدينى مثل سفر المراثى Lamentations وسفر أيوب Job.

إن المسيحية التى يطلق عليها اسم «المسيحية اليهودية Judeo-Christianity» وسندرسها فيما بعد ، وتعرض لها كثير من الباحثين بالدراسة ، ومن أبرزهم الكاردينال دانييلو Cardinal Danielo ، هذه المسيحية اليهودية قبل أن تتغير معالمها بتأثير نفوذ بولس Paul's Influence قد قبلت تراثَ العهد القديم The Old Testatment دون تَحَفُّظ أو معارضة أو صعوبة . ويلاحظ أنه إذا كان لدى أصحاب الإنجيل اهتمام بالغ بتنقيح أناجيل العهد الجديد باستبعاد الأناجيل المدموغة بالتزييف Apocrypha نجد أن مثل هذا الفحص والتمحيص لم يتم بالنسبة لأسفار العهد القديم (التوراة) ولم يستبعد المسيحيون منها أى سفر من الأسفار . لقد قبل المسيحيون وارتضوا كل شىء فى التوراة

كما هو تقريبا .

من ذا الذى كان يجرؤ على مناقشة وتمحيص أى جزء من الأجزاء المتنافرة فى التوراة من المسيحيين حتى مطلع العصر الوسيط فى الغرب على وجه الخصوص ؟ الإجابة هى : لا أحد ! لا أحد تقريبا ! وبَدْءاً من نهاية العصور الوسطى ، وعلى مشارف بدء العصر الحديث بدأت بعض الأعمال النقدية لمحتويات التوراة فى الظهور فى صورة عمل نقدى واحد أو عملين نقديين على الأكثر ، ولقد نجحت سلطات الكنيسة دائما إزاء مثل هذه الأعمال النقدية أن تفرض سلطاتها لقهر ووأد مثل هذه الأعمال النقدية المتعلقة بالمحتويات المتعارضة فى التوراة ، ولكن ، لاشك فى أن عصرنا الحالى قد شهد ميلاد علم نقد النصوص الدينية على نطاق واسع ، ولكن يلاحظ أنه مهما حاول المتخصصون فى الدراسات اللاهوتية التوغل فى نقد وفحص نصوص التوراة المتعارضة إلا أنهم يعزفون عن التعمق فيها للوصول إلى أغوارها الحقيقية ، ويفضلون أن يطلقوا على ما يجدونه من ضروب التناقض تسمية «الشبهات» أو«الصعوبات»Difficulties إذ أنه يبدو إنه ليس لديهم رغبة حقيقية لدراسة هذه الشبهات أو الصعوبات دراسة جادة فى ضوء الحقائق العلمية الحديثة مع التسليم بنتائج هذه الدراسة . إنهم يقبلون فى العادة القيام بعمل مقارنات متعلقة بتاريخ وقوع بعض الأحداث التاريخية وعلى وجه الخصوص عندما يكون هنالك اتساق واتفاق بين الكتاب المقدس ومعطيات علم التاريخ History ولكنهم حتى الآن تعوزهم الصراحة والاستقامة عند إجراء مقارنات بين نصوص الكتاب المقدس وبين حقائق العلوم الحديثة ، إنهم يدركون أن مثل هذه الصراحة والاستقامة عند إجراء هذه المقارنات بين نصوص الكتاب المقدس وحقائق العلوم الحديثة ستؤدى بالناس لامحالة إلى الاقتناع بعدم صحة وبعدم مصداقية النصوص المقدسة اليهودية – المسيحية Judeo - Christian Scriptures التى لا يجرؤ الناس فى الغرب أن يعرضوا لها بالدراسة أو بالاعتراض والرفض حتى اليوم .

# العهد القديم والعلم - ملاحظات

## *The old Testament and Science - Findings*

قليل من موضوعات العهد القديم وقليل من موضوعات الأناجيل هي تلك الموضوعات التى تتعارض مع معطيات وحقائق المعرفة الحديثة . ولكن عندما يتعارض نصٌ من نصوص الكتاب المقدس مع العلم نجد أننا على كل حال بصدد قضايا بالغة الأهمية .

ولقد رأينا فى الفصل السابق من هذا الكتاب أن الأخطاء التاريخية Historical Errors كانت موجودة فى الكتاب المقدس ، وذكرنا أمثلة لها كما أشار إليها بعض المختصين بدراسة الكتاب المقدس الذين كان يغلب عليهم الميل إلى التقليل من شأن هذه التناقضات والأخطاء التاريخية . لقد اعتبروا أنه من الطبيعى بالنسبة إلى مؤلف النص المقدس أن يتعامل مع الحقيقة التاريخية من منظور دينى فحسب ، وأن يكتب التاريخ وأحداث التاريخ لابقصد تسجيل الحقائق ولكن لتلبية احتياجات واعتبارات دينية فقط . وسنجد فيما بعد بصدد إنجيل متّى نفس هذا التحرر من الدقة التأريخية ، وسنجد نفس التبرير الذى يبيح التجاوز عن حقائق التاريخ التى تتناقض مع نصوص الإنجيل . والعقل المنطقى الموضوعى Logical And Obfjective Mind يستحيل أن يقنع بمثل هذا المسلك .

ومن الناحية المنطقية يمكن لنا أن نشير إلى عدد كبير من التناقضات Contradictions والأمور التى لايمكن قبولها وتصديق محتواها Improbabilities ويجوز وجود سياقين مختلفين لروايتين مختلفتين عن حدَثٍ واحد تم استخدامهما عند الكتابة عن هذا الحدث ، وليس هذا هو كل ما فى الأمر بل إننا نجد بصدد الحدث الواحد تناولاً مختلفا له عن طريقة التناول الأخرى لهذا الحدث، ونجد إضافات فى أوقات متأخرة لرواية الحدث Later Additions يتم إضافتها إلى النص الذى يروى نفس هذا الحدث ،مثل التفسيرات المتعلقة بالحدث فى الروايات المتأخرة التى تحكى عن الحدث لتصبح جزءاً من نسيج النص الذى يصف الحدث . وكل هذه الاحتمالات يعرفها المتخصصون فى نقد نصوص الكتاب المقدس ، ويشير إليها بعضهم بكل أمانة وبكل صراحة . وفيما يتعلق بشأن أسفار موسى الخمسة The Pentateuch وحدها على سبيل المثال قَدَّم لنا الأب دى فو Father De Vaux فى المقدمة التى كتبها لترجمته للعهد القديم (ص١٣ ، ص١٤) ملاحظات عن عديد من التناقضات ، ولن نقدم شيئا منها هنا فى هذا الموضع ولكننا سنقتبس كثيرا منها فيما بعد عند دراستنا لهذا الموضوع ، ولكن الانطباع العام والفكرة العامة التى يمكن أن نستخلصها من ذلك هى : أنه لايجب أن نتعامل مع نصوص الكتاب المقدس كما لو كانت نصوصه صحيحة تمام الصحة . وفيما يلى مثال للبرهنة على ذلك :

فى الجملة الثالثة من الأصحاح السادس من سفر التكوين يقرر الله مباشرة قبل الطوفان أن عمر الإنسان هو مائة وعشرون عاما مناقضا بذلك لما قرره الله بالجملة الثانية والثلاثين من الأصحاح الحادى عشر فى ذات سفر التكوين ؛ إذ يحدد الله عمر الإنسان فى نسل سيدنا نوح بأنه مائة وثمانية وأربعون عاما بل وصلت فى بعض الأحيان إلى ستمائة سنة . (انظر جدول نسل سيدنا نوح حتى سيدنا إبراهيم) . إن التناقض فى هذا الشأن واضح ، وتعليل هذا التناقض واضح أيضا . إن النص الأول نص يهيوى يعود تاريخه كما سبق أن أشرنا إلى القرن العاشر قبل الميلاد . أما النص الثانى كما يتمثل فى الجمل من ١٠ إلى ٣٢ من الأصحاح الحادى عشر فى ذات سفر التكوين فهى من التراث الكهنوتى الذى يرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد[١] . وهذا يفسر لنا الدقة الواقعية فى تحديد الأعمار بعد الطوفان بنفس القدر الذى يفسر لنا التناقض الذى نلمسه لو نظر إلى محتويات السفر كوحدة واحدة .

إن أكثر التناقضات مع حقائق العلم الحديث نستطيع أن نجدها فى سفر التكوين .وهذه التناقضات تتعلق بثلاثة موضوعات رئيسية هى :

١ – خلق العالم ومراحل هذا الخلق .

٢ – تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض .

٣ – وَصْفُ الطوفان Description of The Flood

## خلق العالم
## *The creation of the World*

يلاحظ الأب دى فو Father De Vaux أن سفر التكوين Genesis «يقدم لنا روايتين مختلفتين عن خلق العالم وقد وضعت كل رواية منها إلى جانب الرواية الأخرى» . ولكى نلم بمدى تناقض كل منهما مع الأخرى ومع حقائق العلم ندرس فيما يلى كُلاً منهما على حدة .

## الرواية الأولى عن خلق العالم

تحتل الرواية الأولى عن خلق العالم بالتوراة الأصحاح الأول من سفر التكوين والجمل الأولى من الأصحاح الثانى . إنها مثال نموذجى للتناقضات مع مقتضيات الدقة من وجهة النظر العلمية . ومن الضرورى فحص كل فقرة منها على حدة . والنص الذى نعرض له بالدراسة هنا هو نص تقدمه لنا الترجمة الفرنسية لمدرسة الكتاب المقدس بالقدس ، ويقول هذا النص ما يلى :

(١) سفر واحد هو سفْر التكوين يشير إلى أن الأصحاح السادس منه قد تمت كتابته فى القرن العاشر قبل الميلاد بينما تمّتْ كتابه الأصحاح الحادى عشر من سفر التكوين فى القرن السادس قبل الميلاد بفاصل زمنى قدره أربعة قرون مِمّا يتيح الفرصة لوجود التناقض فى السفر الواحد . (المترجم) .